

الفصل الثالث: الحلم

- المبحث الأول: مفهوم الحلم.
- المبحث الثاني: أهمية الحلم.
- المبحث الثالث: صور من مواقف تطبيق الحلم في الدعوة.
- المبحث الرابع: طرق تحصيل الحلم.

المبحث الأول: مفهوم الحِلم

الحِلم: بالكسر: العقل^(١)، وحلم حليماً: تأنى وسكن عند الغضب أو مكروه مع قدرة، وقوة، وعقل^(٢)، ومن أسماء الله - تعالى -: (الحليم)، وهو الذي لا يستخفّه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزّه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منتهٍ إليه^(٣).

والحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب^(٤).

والحلم: هو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب، والبلادة، فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقل ولا تبصّر كان على رذيلة، وإن تبدّد، وضيع حقه ورضي بالهضم والظلم كان على رذيلة، وإن تحلّى بالحلم مع القدرة وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة.

وهناك ارتباط بين الحلم وكظم الغيظ، وهو أن ابتداء التخلّق بفضيلة الحلم يكون بالتحلم: وهو كظم الغيظ، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في كظم الغيظ من كتمان ومقاومة واحتمال، فإذا أصبح ذلك هيئة راسخة في النفس، وأصبح طبعاً من طبائعها كان ذلك هو الحلم، والله أعلم^(٥).

(١) القاموس المحيط، باب الميم، فصل الحاء، ص ١٤١٦.

(٢) المعجم الوسيط، مادة: حلم، ١/ ١٩٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الحاء مع اللام، ١/ ٤٣٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة حلم، ص ١٢٩.

(٥) انظر: مفردات غريب القرآن ص ١٢٩، وأخلاق القرآن للشرباصي، ١/ ١٨٢، والأخلاق

الإسلامية لعبد الرحمن الميداني، ٢/ ٣٢٦.

وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١).

ونلاحظ أن الآيات التي وصفت الله بصفة الحلم قد قرنت صفة الحلم - في أغلب هذه الآيات - بصفة المغفرة أو العفو، ويأتي هذا الاقتران في الغالب بعد إشارة سابقة إلى خطأ واقع، أو تفريط في أمر محمود، وهذا أمر يتفق مع الحلم؛ لأنه تأخير عقوبة، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢).

ونجد أيضاً أن عدداً من الآيات التي وصفت الله بالحلم قد قرن فيها ذكر الحلم بالعلم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾^(٣)، وهذا يفيد - والله أعلم بمراده - أن كمال الحلم يكون مع كمال العلم، وهذا من أعظم مقومات الداعية الناجح، ومن أعظم أركان الحكمة^(٤).



(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٩.

(٤) انظر: أخلاق القرآن للشرباصي، ١/ ١٨٥.

المبحث الثاني: أهمية الحلم

الحلم من أعظم مقومات الداعية الناجح، وهو أيضاً من دعائم الحكمة، فلا يكون الداعية ناجحاً حتى يكون: حكيماً، فالحكمة تقوم على ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة، وكل خلل في الداعية إلى الله فسببه الإخلال بالحكمة وأركانها، فأكمل الناس أوفرهم منها نصيباً، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثاً، ومعاول هدم الحكمة: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهل، وطائش، ولا عجول^(١).

ومما يُؤكِّد أن الحلم من أعظم مقومات الداعية ومن أركان الحكمة التي ينبغي للداعية أن يدعو بها إلى الله - تعالى - مدح النبي ﷺ للحلم، وتعظيمه لأمره، وأنه من الخصال التي يحبها الله ﷻ، قال النبي ﷺ للأشجج^(٢): «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»^(٣).

وفي رواية قال الأشجج: يا رسول الله، أنا تخلّقت بها أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خُلُقَيْنِ يحبهما الله ورسوله^(٤).

(١) انظر: مدارج السالكين، ٢/٤٨٠.

(٢) المنذر بن عائذ بن المنذر العصري، أشج عبد القيس، كان سيد قومه، رجع بعد إسلامه إلى البحرين مع قومه، ثم نزل البصرة بعد ذلك ومات بها ﷺ. انظر: تهذيب التهذيب، ٢٦٧/١٠.

(٣) مسلم، في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله - تعالى - ورسوله، برقم ٢٥.

(٤) أبو داود، في الأدب، باب في قبلة الجسد، برقم ٥٢٢٧، وأحمد، ٤/٢٠٦، ٣/٢٣.

وسبب قول النبي ﷺ ذلك للأشجّ ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ، وأقام الأشجّ عند رحالهم، فجمعها، وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقربه النبي ﷺ وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي ﷺ: «تبايعون على أنفسكم وقومكم؟» فقال القوم: نعم، فقال الأشجّ: يا رسول الله، إنك لم تزاوِل الرجل على شيء أشدّ عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، قال: «صدقت، إن فيك خصلتين...» الحديث.

فالآناة: تربُّصُه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل، والحلم: هذا القول الذي قاله، الدال على صحّة عقله، وجودة نظره للعواقب^(١).

ومما يُؤكِّد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها العظام أنه خلُق عظيم من أخلاق النبوة والرسالة، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم عظماء البشر، وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله والصالحين في الأخلاق المحمودة كافة.

وقد واجه كل واحد منهم من قومه ما يثير الغضب، ويغضب منه عظماء الرجال، ولكن حلموا عليهم، ورفقوا بهم، ولانوا لهم حتى جاءهم نصر الله المؤزّر، وعلى رأسهم إمامهم، وسيدهم، وخاتمهم محمد ﷺ ولم يكن غريباً أن يوجهه الله تعالى إلى قمة هذه السيادة حين يقول له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ

(١) شرح النووي على مسلم، ١/ ١٨٩، وتحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى، ٦/ ١٥٢.

الشَّيْطَانِ نَزَغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢).

وقال ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٣).



(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٩٩-٢٠٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

المبحث الثالث: صور من مواقف تطبيق الحلم في الدعوة إلى الله

بَلَغَ النبي ﷺ في حلمه، وعفوه في دعوته إلى الله - تعالى - الغاية المثالية، والدلائل على ذلك كثيرة جداً، منها على سبيل المثال لا الحصر الصور الآتية:

الصورة الأولى: مع من قال هذه قسمة ما عُدلَ فيها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنينٍ آثر النبيُّ ﷺ أناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فأثرهم يومئذٍ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدلَ فيها، وما أُريدَ بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ، فأتيته فأخبرته، فقال: ((فمن يعدلُ إذا لم يعدلِ الله ورسوله؟! رحم الله موسى فقد أودى بأكثر من هذا فصبر))^(١).

وهذا من أعظم مظاهر الحلم في الدعوة إلى الله - تعالى - وقد اقتضت حكمة النبي ﷺ أن يقسم الغنائم بين هؤلاء المؤلفعة قلوبهم، ويوكل من قلبه ممتلىء بالإيمان إلى إيمانه^(٢).

الصورة الثانية: مع من قال: كنا أحقُّ بهذا:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول

(١) البخاري بلفظه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفعة قلوبهم وغيرهم من الخمس، برقم ٢٩٨١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفعة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، برقم ١٠٦٢.

(٢) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ٤٩/٨.

الله من اليمن بذهبية^(١) في أديم مقروط^(٢) لم تُحصّل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر^(٣)، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل^(٤)، والرابع إما علقمة^(٥) وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحقّ بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً؟» قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كثّ اللحية، محلوق الرأس، مشمّر الإزار، فقال: يا رسول الله! اتق الله، قال: «ويلك، أولست أحقّ أهل الأرض أن يتقي الله؟»، قال: ثم ولّى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يصلي»، فقال خالد: وكم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشقّ بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مُقفّ فقال: «إنه يخرج من ضئضىء هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٦).

(١) أي: ذهب. انظر: فتح الباري، ٦٨/٨.

(٢) مدبوغ بالقرظ. انظر: فتح الباري، ٦٨/٨.

(٣) وهو عيينة بن حصن بن حذيفة، نسب لجده الأعلى. الفتح، ٦٨/٨.

(٤) زيد الخيل بن مهلهل الطائي، وسماه النبي ﷺ زيد الخير، بالراء بدل اللام. انظر: فتح الباري، ٦٨/٨.

(٥) ابن علانة العامري، أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر على حوران، فمات بها في خلافته. انظر: فتح الباري، ٦٨/٨.

(٦) البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن، برقم ٣١٦٦، ومسلم، في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم ١٠٦٤.

وهذا من ظواهر حلم النبي ﷺ، فقد أخذ بالظاهر، ولم يؤمر أن ينقب قلوب الناس، ولا أن يشق بطونهم، والرجل قد استحق القتل واستوجبه؛ ولكن النبي ﷺ لم يقتله، لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه، ولا سيما من صلى^(١).

الصورة الثالثة: مع الطفيل

من مواقف الحلم ما فعله رسول الله ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي، فقد أسلم الطفيل ﷺ قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله ﷻ فأبت عليه وعصت، وأبطؤوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر له أن دوساً هلكت وكفرت وعصت وأبت.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله ﷺ ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: «اللهم اهد دوساً، وائت بهم، اللهم اهد دوساً، وائت بهم»^(٢).

وهذا يدل على حلم النبي ﷺ وصبره، وتأنيه في الدعوة إلى الله ﷻ؛ فإنه لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من ردّ الدعوة؛ ولكنه ﷺ دعا لهم

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٨/ ٦٩.

(٢) البخاري، في كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، برقم ٢٧٧٩، وفي كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، برقم ٤١٣١، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، برقم ٦٠٣٤، ومسلم، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وقيم ودوس وطئ، برقم ٢٥٢٤، وأخرجه أحمد واللفظ له، ٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، وانظر: البداية والنهاية، ٦/ ٣٣٧، ٣/ ٩٩، وسيرة ابن هشام، ١/ ٤٠٧.

بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم، فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخير، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتاً من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخير، فأسهم لهم مع المسلمين^(١).

الله أكبر! ما أعظمها من حكمة أسلم بسببها ثمانون أو تسعون أسرة.

وهذا مما يوجب على الدعوة إلى الله ﷻ العناية بالحلم في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله ثم معرفة هدي النبي ﷺ في دعوته.

الصورة الرابعة: مع من أراد قتل النبي ﷺ

روى البخاري ومسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قبل نجد^(٢)، فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: ((إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً^(٣)) في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشام^(٤) السيف، فهذا هو ذا جالس))، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ^(٥).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١/٣٤٦، وزاد المعاد، ٣/٦٢٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/٢٢٥.

(٢) وقع في رواية البخاري التصريح باسمها «ذات الرقاع»، انظر: البخاري مع الفتح، ٧/٤٢٦.

(٣) والسيف صلتاً: أي مسلولاً. انظر: شرح النووي، ١٥/٤٥.

(٤) شام السيف: أي رده في غمده. انظر: المرجع السابق، ١٥/٤٥.

(٥) البخاري، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، برقم ٢٩١٠،

الله أكبر! ما أعظم هذا الخلق! وما أكبر أثره فى النفس! أعرابي يريد قتل النبي ﷺ ثم يعصمه الله منه، ويمكّنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه! إن هذا الخلق عظيم، وصدق الله العظيم إذ يقول للنبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وهذا الخلق الحكيم قد أثر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير^(٢).

الصورة الخامسة: مع زيد الحبر

كان النبي ﷺ يعفو عند القدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود وعلماهم الكبار^(٣).

جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه ديناً له، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظٍ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطلُّ،

= وكتاب المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، برقم ٤١٣٦، ومسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب: توكله على الله - تعالى -، وعصمة الله - تعالى - له من الناس، برقم ٨٤٣، وأحمد، ٣/ ٣١١، ٣٦٤.

وانظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني، فقد ذكر رواية مطولة عزها لأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه، ٢/ ٣٣٥.

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) انظر: فتح الباري، ٧/ ٤٢٨، وشرح النووي على مسلم، ١٥/ ٤٤، وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضوع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث.

(٣) انظر: هذا الحبيب يا محب، ص ٥٢٨، وهداية المرشدين، ص ٣٨٤.

وشدّد له في القول، فنظر إليه عمر وعنيه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدّة وتبّسّم، ثم قال: «أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمرٍ»، فكان هذا سبباً لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: «لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلاً»^(١).
فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وُصِفَ، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر^(٢).
فقد أقام محمد ﷺ براهين عديدة من أخلاقه على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق.

(١) ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصة وعزاها إلى الطبراني، والحاكم، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي ﷺ، وابن سعد، وغيرهم، ثم قال ابن حجر: ورجال إسناده موثقون... ومحمد بن أبي السري وثقة ابن معين... والوليد قد صرح بالتحديث، ٥٦٦/١.
وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ٢/ ٣١٠، وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٨/ ٢٤٠: ((رواه الطبراني، ورجاله ثقات)).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ٥٦٦/١.

الصورة السادسة: مع زعيم المنافقين

قدم النبي ﷺ المدينة، وقد أجمع الأوس والخزرج على تمليك عبد الله بن أبيّ، ولم يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، وكانوا قد نظموا له الخرز، لِيَتَّوَجَّوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله - تعالى - برسول الله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام امتلاً قلبه حقداً وعداوة وبغضاً، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكه، فلما رأى قومه أبوا إلا الإسلام، دخل فيه كارهاً مُصْرّاً على النفاق والحقد والعداوة^(١)، ولم يألُ جهداً في الصدّ عن الإسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذبّ عن اليهود ومساعدتهم.

وقد ظهرت مواقفه الخبيثة في معاداته لدعوة الإسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وقد كان النبي ﷺ يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ لأنه يُظهر الإسلام؛ ولأن له أعواناً من المنافقين، هو رئيسهم وهم تبع له، فكان ﷺ يحسن إليه بالمقال والفعل، ويقابل إساءته بالعفو والإحسان في عدة مواقف، منها على سبيل المثال ما يأتي:

١- شفاعته لليهود - بنو قينقاع - عندما نقضوا العهد:

نقض بنو قينقاع العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين^(٢)، فسار إليهم رسول الله ﷺ

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/٢١٦، والبداية والنهاية، ٤/١٥٧.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/٤٢٧، والبداية والنهاية، ٤/٤، والرحيق المختوم، ص ٢٢٨، وهذا الحبيب، ص ٢٤٦.

يوم السبت للنصف من شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وحاصرهم خمسة عشر يوماً، وتحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم فكُتِفُوا، وكانوا سبعمئة مقاتل، فقام إلى النبي ﷺ عبد الله بن أبي حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ، وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دارع^(١)، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي ﷺ له^(٢)، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام، وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم صلوات الله وسلامه عليه^(٣).

٢ - ما فعله مع النبي ﷺ يوم أحد:

خرج النبي ﷺ إلى معركة أحد، فلما صار بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر، ورجع بهم إلى المدينة فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر رضي الله عنها فويّخهم، وحضهم على الرجوع، وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم

(١) الحاسر: هو الذي لا درع له، والدارع: هو لابس الدرع. انظر: المعجم الوسيط، مادة ((حسر))، ١/١٧٢، ومادة ((درع))، ١/٢٨٠.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/٤٢٨، والبداية والنهاية لابن كثير، ٤/٤.

(٣) انظر: زاد المعاد، ٣/١٢٦، ١٩٠.

تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسبهم^(١).

فلم يعاقبه رسول الله ﷺ على هذا الجرم العظيم، وتخذيّل المسلمين.

٣- صدّه الرسول ﷺ عن الدعوة إلى الله تعالى:

ركب النبي ﷺ إلى سعد بن عبادَة، فمرّ بعدوّ الله عبد الله بن أبيّ وحوله رجال من قومه، فنزل ﷺ فسلمّ ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ﷻ، وذكر بالله، وحذر وبشّر وأنذر، وعندما فرغ النبي ﷺ من مقالته، قال له عبد الله بن أبيّ: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقاً فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدّثه إيّاه، ومن لم يأتك فلا تغته^(٢)، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه^(٣)، فلم يؤاخذه النبي ﷺ وعفا عنه وصفح.

٤- تثبيته بني النضير:

عندما نقض يهود بني النضير العهد بهمّهم بقتل النبي ﷺ، بعث إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق - وعلى رأسهم عبد الله بن أبيّ - أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نُسلمكم، إن قُوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فقويت

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/١٩٤، وسيرة ابن هشام، ٣/٨، ٣/٥٧، والبداية والنهاية، ٤/٥١.

(٢) أي: لا تكثر عليه به وتتردد به عليه، أو لا تعذبه به. انظر: القاموس المحيط، باب التاء، فصل الغين، ص ٢٠٠، والمعجم الوسيط، مادة ((غَتَّ))، ٢/٦٤٤.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/٢١٨، ٢١٩.

عزيمة اليهود، وناذبوا رسول الله ﷺ بنقض العهد، فخرج إليهم حتى نزل بهم وحاصرهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأجلاهم النبي ﷺ وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام^(١).

وترك النبي ﷺ عبد الله بن أبي فلم يُعاقبه على ذلك.

٥- كيدِه وغدره للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين في غزوة المريسيع:

في هذه الغزوة قام عبد الله بن أبي بعدة مواقف مخزية توجب قتله وعقابه، ومنها:

الموقف المخزي الأول: دبر المنافقون في هذه الغزوة قصة الإفك، وتولّى كِبَرَه عبد الله بن أبي بن سلول^(٢).

الموقف المخزي الثاني: وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أبي: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^(٣).

الموقف المخزي الثالث: وفي هذه الغزوة قال عدو الله: ﴿لَا تُنْفِقُوا

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ٣/ ١٩٢، والبداية والنهاية، ٤/ ٧٥، وزاد المعاد، ٣/ ١٢٧.

(٢) انظر قصة الإفك في البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، قبل الرقم ٤١٤٢، وكتاب التفسير، سورة النور، باب ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾، ٨/ ٤٥٢، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث الإفك، برقم ٢٧٧٠، وزاد المعاد، ٣/ ٢٥٦-٢٦٨.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.

وانظر: البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، برقم ٤٩٠٥، وفي كتاب المناقب، باب ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية، برقم ٣٥١٨، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، برقم ٢٥٨٤، وانظر: سيرة ابن هشام، ٣/ ٣٣٤.

عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا»^(١).

وقد ظهرت الحكمة المحمدية، وتجلت السياسة الرشيدة في إخماد النبي ﷺ نار الفتنة، وقطع دابر الشر - بفضل الله ثم بصبره - على عبدالله بن أبيّ، وتحمله له، والإحسان إليه، ومقابلة هذه المواقف المخزية من هذا الزعيم المنافق بالعفو؛ لأن هذا الرجل له أعوان، ويخشى من شرهم على الدعوة الإسلامية؛ ولأنه يُظهر إسلامه؛ ولهذا قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب - حينما قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق - : «دعه حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٢).

فلو قتله رسول الله ﷺ لكان ذلك منفرّاً للناس عن الدخول في الإسلام؛ لأنهم يرون أن عبد الله بن أبيّ مسلم، ومن ثم سيقول الناس: إن محمداً يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاصد، وتتعلّل المصالح.

فظهرت حكمة النبي ﷺ وصبره على بعض المفاصد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم؛ ولتقوى شوكة الإسلام، وقد أمر بالحكم الظاهر، والله يتولّى السرائر.

وقد ظهرت الحكمة لعمر بعد ذلك في عدم قتل عبد الله بن أبيّ فقال:

(١) سورة المنافقون، الآية: ٧.

والحديث في البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لِمُتَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُوا لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، برقم ٤٩٠٤، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، برقم ٢٧٧٢.

(٢) البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، برقم ٤٩٠٥، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، برقم ٢٥٨٤.

((قد والله علمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري))^(١).

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يسلكوا طريق الحكمة في دعوتهم اقتداءً بنبيهم ﷺ.

الصورة السابعة: مع ثمامة

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبلاً نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: ((ماذا عندك يا ثمامة؟)) فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم^(٢)، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تُعط منه ما شئت؛ فتركه رسول الله حتى كان بعد الغد، فقال: ((ما عندك يا ثمامة؟)) فقال: ما قلت لك، إن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعط منه ما شئت؟ فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: ((ماذا عندك يا ثمامة؟))، فقال: عندي ما قلت لك، إن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعط منه ما شئت؟ فقال رسول الله ﷺ: ((أطلقوا ثمامة))، فانطلق إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ٤/١٨٥، وانظر: شرح النووي على مسلم، ١٦/١٣٩، وهذا الحبيب يا محب، ص ٣٣٦.

(٢) معناه: أن تقتل تقتل صاحب دم يدرك قاتله به ثأره لرئاسته وفضيلته، وقيل: معناه تقتل من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله. انظر: فتح الباري، ٨/٨٨.

الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبّ الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشّرهُ رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: [لا والله]، ولكنني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ))^(١).

((ثم خرج ﷺ إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يجلي بينهم وبين الحمل))^(٢).

وذكر ابن حجر أن ابن منده روى بإسناده عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة، ومنعه قريش عن الميرة، ونزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُم بِالْعَدَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾^(٣).

وقد ثبت ثمامة على إسلامه لما ارتدّ أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، برقم ٤٣٧٢، ومسلم - واللفظ له إلا ما بين المعقوفين فمن البخاري - في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه، برقم ١٧٦٤.

(٢) سيرة ابن هشام، ٤/٣١٧ بتصرف يسير، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨/٨٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

وقال ابن حجر عن هذا الأثر: ((إسناده حسن)). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ١/٢٠٣.

قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين^(١).

الله أكبر، ما أحلم النبي محمداً ﷺ، وما أعظمه من موقف، فقد كان ﷺ يتألف القلوب، ويلطف من يُرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ أن يعظّموا أمر الحلم والعفو عن المسيء، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ إليه من الحلم والعفو والمنّ بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه^(٢)؛ ولهذا قال:

أهمّ بترك القول ثم يردني إلى القول إنعام النبي محمداً
شكرت له فكّي من الغلّ بعدما رأيت خيالاً من حسامٍ مهند^(٣)

الصورة الثامنة: مع من جذب النبي ﷺ برده

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه برده جبهة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء^(٤).

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠٣/١.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم، ٨٩/١٢، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨٨/٨.

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠٣/١.

(٤) البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفلة قلوبهم وغيرهم من الخمس

وهذا من روائع حلمه ﷺ وكماله، وحسن خلقه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النفس، والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام؛ ولتأسى به الدعوة إلى الله، والولاية بعده في حلمه، وخلقته الجميل من الصفح، والإغضاء، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن^(١).

الصورة التاسعة: اللهم اغفر لقومي

ومن عظيم حلمه عدم دعائه على من آذاه من قومه، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ويدمرهم، ولكنه ﷺ حلِيم حكيم يهدف إلى الغاية العظمى، وهي رجاء إسلامهم، أو إسلام ذرياتهم؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢).

الصورة العاشرة: مع أبي إبراهيم

ومما يدل على أن الحلم ركن من أركان الحكمة ملازمة صفة الحلم للأنبياء قبل النبي ﷺ في دعوتهم إلى الله تعالى.

فهذا إبراهيم أبو الأنبياء، عليه وعليهم الصلاة والسلام، قد بلغ من الحلم مبلغاً عظيماً حتى وصفه الله بقوله: «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ

= ونحوه، برقم ٣١٤٩، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، برقم ١٠٥٧.

(١) انظر: فتح الباري، ١٠/٥٠٦، وشرح النووي على مسلم، ٧/١٤٦، ١٤٧.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليان، برقم ٣٤٧٧، ومسلم، في كتاب

الجهاد والسير، باب غزوة أحد، برقم ١٧٩٢.

لَأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾.

فقد كان إبراهيم كثير الدعاء، حليماً عمّن ظلمه، وأناله مكروهاً،
ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِي يَا
إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (١).

فحلم عنه مع أذاه له، ودعا له، واستغفر (٣)، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (٤).

وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين، كانوا من أعظم الناس حلماً مع
أقوامهم في دعوتهم إلى الله تعالى (٥).

الصورة الحادية عشر: مع من سبّ

ومن وراء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يأتي الدعوة إلى الله
والصالحون من أتباعهم، وإذا كان الله ﷻ قد جعل محمداً ﷺ مثلاً عالياً
في الحلم، فقد أراد لأتباعه أن يسيروا على نهجه وسنته، ولذلك يقول الله

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٤٦-٤٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٩٦/٢، والبعوي، ٣٣٢/٢، والأخلاق الإسلامية للميداني،
٣٣٢/٢.

(٤) سورة التوبة: الآية: ١١٤.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ١١٤/٢، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي، ١٨٥/١.

- تعالى - عن الأخيار من هؤلاء: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١).

فمن صفاتهم أنهم أصحاب حلم، فإذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً كما كان رسول الله ﷺ لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً^(٢).

فعن النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ وسبّ رجل رجلاً عنده، فجعل المسبوب يقول: عليك السلام، فقال رسول الله ﷺ: ((أما إن ملكاً بينكما يذبّ عنك كلما يشتمك هذا، قال له: بل أنت وأنت أحقّ به، وإذا قال له: عليك السلام، قال: بل لك، أنت أحقّ به))^(٣).

فهؤلاء الدعاة إلى الله والصالحون إذا خاطبهم الجاهلون قالوا صواباً وسداداً، ويردّون المعروف من القول على من جهل عليهم^(٤)؛ لأن من أخلاقهم العفو والصفح عن أساء إليهم، فقد تحلّقوا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة، حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله كظموا ذلك الغضب فلم يُنفذوه، ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَنْفُذُوهُ﴾

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٣١٠/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٥٥٦/١، ومجمع الزوائد، ٢٤٠/٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، ٤٤٥/٥، وقال ابن كثير في تفسيره، ٣٢٦/٣: ((إسناده حسن)).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٢٦/٣.

يَغْفِرُونَ»^(١)، فترتب على هذا الحلم، والعفو، والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير^(٢)، كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣).

الصورة الثانية عشرة: مع عيينة

ومما يُبين حلم أصحاب النبي ﷺ من بعده وإن كانوا خلفاء وأمراء، ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على أخيه الحرّ بن قيس، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله - تعالى - قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤)، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله^(٥).

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١١٨، وتفسير العلامة السعدي، ٦/٦٢١.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، برقم ٤٦٤٢.

وهذا الرجل قد جفا عمر أمير المؤمنين بعدة أمور تثير الغضب، وتجعله عرضة للانتقام والتأديب.

أول هذه الأمور: قوله: هي يا ابن الخطاب، ولم يقل: يا أمير المؤمنين. والثاني: قوله: والله ما تعطينا الجزل، يعني العطاء الكثير.

والثالث: وهو أقبح الأمور الثلاثة، قوله: ولا تحكم بيننا بالعدل.

ومع هذا كله حلم عنه عمر وعفا عنه، وصفح بعدما سمع الآية، وسمع قول الحر: إن هذا من الجاهلين، ووقف عند الآية: ولم يعمل بغير ما دلت عليه، بل عمل بمقتضاها، ﷺ وأرضاه^(١)، وهذا يدل على كمال حلمه وحكمته التي استفادها من هدي رسول الله ﷺ فرسخت في ذهنه حتى كانت هيئة راسخة ثابتة في نفسه وخلقته.

وهذا يحتاج في بداية الأمر إلى جهاد وقوة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: ((ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب))^(٢).

ولاشك أن الغضب يهدم الحلم وينافيه، وصاحب الغضب لا يكون حليماً، ولهذا قال ﷺ لمن قال أوصني: ((لا تغضب))^(٣).

والداعية إلى الله يستطيع أن يتّصف بالحلم؛ ليكون حكيماً، وذلك

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٣/٢٥٩، ٨/٣٠٥، ١٣/٢٥٠.

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١٤١، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، برقم ٢٦٠٩.

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١١٦، والحديث فيه: فردد مراراً، قال: ((لا تغضب)).

بعلاج الغضب^(١)، إذا حلّ به ونزل، ولا يكون العلاج النافع إلا بما شرعه الله، وبينه نبيه ﷺ، فقد عمل على تربية المسلمين تربية قولية وفعلية وعملية حتى يكونوا حلماً، حكماً.

الصورة الثالثة عشرة: حلم زين العابدين

ولم يقتصر الحلم على النبي ﷺ وأصحابه، بل حلم أتباعه أهل العلم والإيمان ومن ذلك:

سبَّ رجلٌ عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب المشهور بزین العابدين يوماً فجعل يتغافل عنه - يريه أنه لم يسمعه - فقال له الرجل: إياك أعني، فقال له علي: وعنك أغضي^(٢).

وخرج يوماً من المسجد فسبه رجل فانتدب الناس إليه فقال: دعوه. ثم أقبل عليه فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك إذ رآه يقول: إنك من أولاد الأنبياء^(٣).



(١) انظر: المبحث الرابع: طرق تحصيل الحلم، المطلب الأول: علاج الغضب من هذا الكتاب.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٠٥/٩.

(٣) المرجع السابق، ١٠٥/٩.

المبحث الرابع: طرق تحصيل الحلم

هناك أسباب تجلب الحلم وتدعو إليه، من حافظ عليها واجتهد في تحصيلها كان حليماً بإذن الله تعالى، ومنها على سبيل المثال ما يأتي في المطالب الآتية:

المطلب الأول: علاج الغضب

علاج الغضب بالأدوية المشروعة يكون بطريقتين:

الطريق الأول: الوقاية:

ومعلوم أن الوقاية خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب قبل وقوعه باجتناّب أسبابه، واستئصالها قبل وقوعها، ومن هذا الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يطهّر نفسه منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتّيه، والحرص المذموم، والمزاح في غير مناسبة، أو الهزل وما شابه ذلك^(١).

الطريق الثاني: العلاج إذا وقع الغضب:

وينحصر في أربعة أنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وعن سليمان بن صردٍ رضي الله عنه قال: استبّ رجلان عند النبي صلّى الله عليه وآله ونحن عنده جلوس وأحدهما

(١) انظر: الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية، للدكتور صبحي محمّصاني، ص ٢٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠، وانظر: سورة المؤمنون، الآية: ٩٧، وسورة فصلت، الآية: ٣٦.

يسبّ صاحبه مغضباً قد احمرّ وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلمُ كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(١).

ولما كان الشيطان على نوعين:

نوع يُرى عياناً، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يُرى، وهو شيطان الجن.

جعل الله سبحانه المخرج من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شر شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه^(٢)، وما أحسن ما قاله القائل:

فما هو إلا الاستعاذة ضارِعاً أو الدفع بالحُسنى هما خيرُ مطلوب
فهذا دواء الداء من شر ما يُرى وذلك دواء الداء من شر محجوب^(٣)
النوع الثاني: الوضوء؛ لحديث عطية السعدي ﷺ قال: قال رسول
الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما
تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»^(٤).

النوع الثالث: تغيير الحالة التي عليها الغضبان، بالجلوس، أو

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب الخذر من الغضب، برقم ٦١١٥، ومسلم، كتاب البر والصلة،

باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، برقم ٢٦١٠.

(٢) انظر: سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠، وسورة المؤمنون الآية: ٩٧، وسورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٣) انظر: زاد المعاد، ٢/٤٦٢-٤٦٣ بتصرف يسير، وأصواء البيان، ٢/٣٤١-٣٤٢.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٤، قال الشيخ عبد العزيز

ابن باز: ((وإسناده جيد))، وانظر: تهذيب السنن، ٧/١٦٥-١٦٨، وعون المعبود،

الخروج، أو غير ذلك، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»^(١).

النوع الرابع: استحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل، عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيّره من الحور ما شاء»^(٢).

المطلب الثاني: أسباب تحصيل الحلم

وإذا أراد الداعية أن يزداد حلمه، وتعظم حكمته، فليحرص على الأسباب التي تدعو إلى الحلم، فليعمل بها، وهي عشرة:

- ١- الرحمة بالجهال؛ فإنها من أوكد أسباب الحلم.
- ٢- القدرة على الانتصار؛ وذلك من سعة الصدر، وحسن الثقة.
- ٣- الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٥٢/٥، وأبو داود في الأدب، باب ما يقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٢، وابن حبان، ص ٤٨٤ (موارد)، وشرح السنة للبغوي، ١٣/١٦٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧٠/٨، وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح»، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٠٨/٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من كتم غيظاً، برقم ٤٧٧٧، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا عبد بن حميد، برقم ٤٧٧٧، وابن ماجه، في كتاب الزهد، باب الحلم، برقم ٤١٨٦، وحسنه الألباني صحيح الترمذي، ٣٠٥/٢، وصحيح ابن ماجه، ٤٠٧/٢، وصحيح الجامع، ٣٥٣/٥، وصحيح أبي داود، ٩٠٧/٣.

٤ - الاستهانة بالمسيء:

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
٥- الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا من صيانة النفس وكمال
المروءة.

٦- التفضل على الساب، وهذا من الكرم وحب التآلف.

٧- قطع السباب، وهذا من الحزم كما قال الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا
٨- الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا مما يقتضيه الحزم، فقد قيل:
الحلم حجاب الآفات.

٩- الرعاية ليد سالفه، وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء وحسن العهد،
قال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة واللوم مقرون بذى الإخلاف
١٠- المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا من الدهاء، وقد قيل: من
ظهر غضبه قلّ كيده.

وقال بعض الشعراء:

وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكْرِمًا أَضْرَّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يَشْتَمُ^(١)
فإذا راعى الداعية الوقاية من الغضب، والعلاج، وهذه الأسباب
العشرة كان حليماً بإذن الله - تعالى - وبهذا يحقق ركناً من أركان الحكمة
التي من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً.

(١) انظر: أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي، المتوفى سنة ٤٥٠هـ، ص ٢١٤.

وينبغي أن يعلم أن الغضب لله يكون محموداً، ولا يدخل في الغضب المذموم، فالغضب المحمود يكون من أجل الله عندما ترتكب حرمان الله، أو تترك أو امره ويستهان بها، وهذا من علامات قوة الإيمان، ولكن بشرط أن لا يخرج هذا الغضب عن حدود الحلم والحكمة، وقد كان رسول الله ﷺ يغضب لله إذا انتهكت محارمه، وكان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمان الله لم يقم لغضبه شيء، ولم يضرب بيده خادماً، ولا امرأة، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وقد خدمه أنس بن مالك ﷺ عشر سنوات، فما قال له: أف قطّ، ولا قال له لشيء فعله: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم يفعله: ألا فعلت كذا؟^(١).

وهذا لا ينافي الحلم والحكمة، بل الغضب لله في حدود الحكمة من صميم الحلم والحكمة.



(١) انظر: عدة حالات غضب فيها النبي ﷺ لله تعالى، في البخاري مع الفتح، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله - تعالى - ٥١٧/١٠، بأرقام الحديث: ٦١١٤، ورقم ٦١١٥، ورقم ٦١١٦ وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص ١٢٧، وفتح الباري، ٥١٨/١٠، الطبعة السلفية.